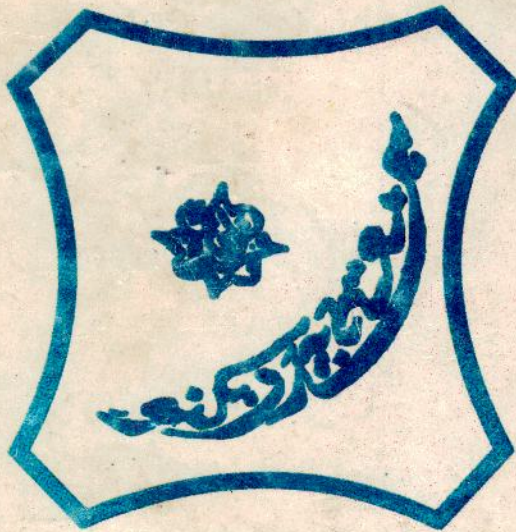




دراسات عربية

السلسلة الجديدة



حولية تصدر عن

قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

العدد الخامس ، أكتوبر ٢٠١٠م

دراسات عربية

السلسلة الجديدة

العدد الخامس أكتوبر ٢٠١٠م.

ISBN 978-2035-38-6

© قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا
عنوان المراسلات:

البريد العادي: P. M. B. 3011, Kano Nigeria

البريد الإلكتروني: dirasaatbuk@yahoo.com

Printed by:

Al-mundubiy Arabic Publications

+2348023855133

آثار اللغة العربية في الشعر النيجري المكتوب بالحروف العربية

خليل الله محمد عثمان بودوفو
جامعة إلورن، نيجيريا

المقدمة

إن الفن الغالب على الآداب النيجيرية هو الشعر، فليس للفنون الأخرى نصيب مثل نصيبه في آداب هذا الشعب. وبدخول الإسلام إلى هذه البلاد بدأت آداب القوم تتطور شيئاً فشيئاً نتيجة انتشار الإسلام فيهم، ونظراً إلى هذا الدور الرئيسى الذى قام به الإسلام واللغة العربية في تثقيف النيجريين، أخذت لغة الهوسا، واليوربا، والفلاانى، والكانورى، والنوبى، وأمثالها من اللغات النيجيرية الرئيسة تقتبس من العربية ألفاظها ومعانيها، وتستفيد من قواعدها فى النحو والصرف، وتستعمل أساليبها فى العروض والقوافى، حتى أصبحت العربية جزءاً لا يتجزأ من حياة النيجريين، ولهذا نودّ فى هذه المقالة المتواضعة أن يكون النقاش حول المباحث الآتية:

المبحث الأول: نبذة وجيزة عن تاريخ نيجيريا.

المبحث الثانى: دخول اللغة العربية إلى نيجيريا

مجلة دراسات عربية، العدد الخامس من السلسلة الجديدة، أكتوبر ٢٠١٠م، ص ٨٢

المبحث الثالث: الحوار حول الشعر النيجري المكتوب بالحروف العربية
المبحث الرابع: أغراض الشعر النيجري المكتوب بالحروف العربية
المبحث الخامس: تأثير اللغة العربية في الشعر النيجري المكتوب بالحروف
العربية

المبحث الأول: نبذة وجيزة عن تاريخ نيجيريا

أطلق الأسبانيون كلمة نيجيريا على البلاد التي يعرفها العرب ببلاد التكرور. وفي جريدة التايمز البريطانية التي صدرت اليوم الثامن من يناير عام ١٨٧١م^١ أعلن الأسبانيون هذا الاسم إلى الآفاق وكان المستعمرون قبل ذلك يطلقون على هذه البلاد اسم محمية ساحل نيجر *Niger Coast Protectorate* تارة، والبلاد الواقعة في حوض نهر نيجر *The territories in the Basin of the Niger* طوراً، وغير ذلك من الأسماء،^(٢) وقد ذكر عدد كبير من الباحثين أن هذه الكلمة مشتقة من اسم نيجر، منهم الدكتور أحمد شلي الذي يقول:

إن تسمية نيجيريا بهذا الاسم متصلة بنهر النيجر وإنه إذا أخذت دولة النيجر اسم النهر تماماً. فإن نيجيريا قد أضافت إلى اسم النهر مقطعا واحدا فأصبحت تعني ما حول النيجر^٣

وقبل القرن التاسع عشر الميلادى تكونت هذه البلاد من ممالك كثيرة يبلغ عددها ست ممالك، وقد تختلف بعضها عن البعض في القوة والضعف وفي المساحة الجغرافية. وأما مملكة برنو فهي أقواها وأشهرها في مجال العلاقة الدبلوماسية بالعالم العربى، وتليها مملكة الهوسا، ثم مملكة يوربا ثم مملكة بنين. وهناك ممالك أخرى أقل قوة وشهرة من أخواتها منها مملكة نفى، وبرغ وإغال ونحو ذلك^٤

وأما القبائل التى تتكون منها أهالى نيجيريا الأقحاح فقد تزيد على ٢٥٠ قبيلة، يختلف بعضها عن البعض في اللغة والعادات والتقاليد، ولقد أشارت إحصائيات عام ١٩٦٣ إلى هذه القبائل وأكثرها عددا هي قبيلة الهوسا التى تبلغ ١١,٥٤٠,٠٠٠ نسمة، ثم قبيلة يوربا التى يبلغ عددها ١١,٣٦٠,٥٠٩ نسمة ثم ايبو التى يبلغ عددها ٩,٣٨٨,٢٤٦ نسمة، ثم ايبو التى يبلغ عددها ٣,٠٦,٤٨٩ نسمة، ثم إجو التى يبلغ عددها ١,٠٨٨,٠٨٥ نسمة، ثم تيف التى يبلغ عددها ١٣٩٣,٦٤٩ نسمة، ثم أدو التى يبلغ عددها ٩٥٤٩٦٠ نسمة، ثم النوفى التى يبلغ عددها ٥٦,٦,٢٩٦ نسمة، ثم إغال التى يبلغ ٥٨١,٥٥١ نسمة. والمهم أن عدد سكان نيجيريا حوالى ١٩٦٣م، يبلغ ٨٦٠٠٠,٧٩ نسمة. وعدد المسلمين منهم يشكل ٧٠% سيرا على تعداد

عام ١٩٣١م ويبلغ عدد سكان نيجيريا اليوم مائة وأربعين مليون نسمة، حسب إحصائيات عام ٢٠٠٦م، فقد يعادل هذا العدد مساحات جغرافيا البلاد البريطانية ثلاث مرات، فطولها من الشرق إلى الغرب سبعمائة كيلومتر، ومن الشمال إلى الجنوب ستمائة وخمسون كيلومتر. نيجيريا اليوم بمرتبة الدولة الثانية عشر من حيث الترتيب بين الدول المزدهمة بالسكان في العالم^٥

المبحث الثاني: دخول اللغة العربية إلى نيجيريا

أود قبل الشروع في هذا الصدد أن يستقر في الأذهان أن اللغة العربية تغلغلت إلى هذه البلاد على رقاب عدة عوامل، منها:

١: العامل التجارى

تعتبر التجارة كالحجر الأساسى الذى قامت عليه اللغة العربية فى هذه البلاد، إذ توجد علاقة تجارية بين المغرب العربى وغرب إفريقيا منذ زمن بعيد، الأمر الذى جعل العرب المغاربة يأتون إلى سوق كرمي *kurmi* بكنو، ويمثلونها مع الآخرين من شتى النواحي^٦ حيث يتبادلون فيما بينهم السلع للبيع والشراء مثل الجلود والفول، وقد لا يكون من الخطأ إذا قلنا إن أولئك التجار هم الذين أدخلوا كلمات عربية وتعايرها إلى هذه

البلاذ، ثم انتشرت تلك الكلمات بعد ذلك تدريجياً، واندمج بعضها وأساليها في بعض اللهجات النيجيرية^٧

٢: العامل الديني

يذكر الباحثون أن للمجاهدين العرب وأصحاب الطرق الصوفية أدواراً ملموسة في نشر اللغة العربية وثقافتها في هذه البلاد، ولعل الدعاة الذين نزلوا على (همى جلمى بن سلما) الملك الثاني عشر لمملكة كانم برنو^٨ هم الذين بدأوا بإنشاء كتاتيب لتعليم القرآن الكريم في هذا الوطن، إذ بجهود هؤلاء الدعاة أهدى الله الملك (همى جلمى) إلى الإسلام وأصبحت بلاده دولة إسلامية، وفي هذا يقول سلطان محمد بلو:

انتشر الإسلام فيها انتشاراً في سلاطينهم ووزرائهم

وعامتهم بل لا يوجد في هذه البلاد عامة قوم

يعتنون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وكتابه

أحسن منهم^٩

ثم بدأت اللغة العربية والإسلام ينتشران بالتدريج على أيدي الطوائف الصوفية ولا سيما الطريقة القادرية التي اعتنى أصحابها باللغة العربية اعتناء بالغاً وأخذوا يستعملونها في نشر مبادئ التصوف والدفاع

عن نظرياته المختلفة، وأسسوا لهذا الغرض معاهد علمية ومدارس ابتدائية و ثانوية كثيرة في مختلف الأماكن النيجيرية^{١٠}

المبحث الثالث: الحوار حول الشعر النيجيري المكتوب بالحروف العربية

من الصعوبة بمكان أن نعرف الوقت الذي بدأ فيه النيجيريون نظم الشعر بلغاتهم المحلية، والذي يزعم بعض الباحثين هو أن بدايته كانت بعد مرور القرن الرابع عشر الميلادي^{١١}، ذلك بعد أن أدرك عدد كبير من الشعب النيجيري أنهم لا يفهمون اللغة العربية التي يستعملها بعض علمائهم المواطنين في نشرهم وشعرهم، أمثال الشيخ عبد الله الثقة في كتابه: "عطية المعطى"، والشيخ محمد الفلاني الكشناوى في تأليفه: "المنظوم في السحر والأوقاف والنجوم"، والشيخ محمد بن أبي بكر في تخميسه على قصيدة: "بانت سعاد" لكعب بن زهير. ومن هؤلاء العلماء وأمثالهم طلب الشعب استعمال اللغات المحلية في النثر والنظم، ليعم النفع والفائدة.

ومن هنا بدأت فكرة نظم الشعر في اللغات النيجيرية المحلية بالحروف العربية، ونظرا إلى هذه الظاهرة يمكن الالتفات إلى اعتبارات عديدة حول الشعر النيجيري، وهي:

الشعر النيجيرى باعتبار لغاته: بدأ الشعر فى هذه البلاد تنشد باللغات المحلية منها: اللغة الفلانية، والهوساوية، واليورباوية، والكانورية، والنفاوية، والإيبوية، لكل قبيلة فى نيجيريا شاعرها الذى ينشد لها الشعر بلغتها أو لهجتها، والذى ينظر إلى برنامج *AM. Express* الذى يبث كل يوم على شاشات التلفزة النيجيرية الفدرالية *N.T.A* يجد كيف ينشد شعراء قبائل نيجيريا أشعارهم بمختلف لغاتهم ولهجاتهم.

الشعر النيجيرى باعتبار دياناته: ينقسم هذا النوع من الشعر إلى الشعر الإسلامى والنصرانى، والوثنى، والعلمانى وغير ذلك حسب عقيدة الشاعر ودينه، فعلى سبيل المثال، يوجد فى نيجيريا حتى اليوم عبدة الأصنام (مَاغْدَاوَا) فى الشمال، وعبدة الحديد (أُوغُنْ) فى الجنوب، والوثنيون فى المشرق الجنوبى، وخاصة فى ولايات إيو. وكان لكل هذه الديانات رجالها وشعراؤها الذين ينشدون لها أشعارا فى مختلف الأغراض، ولعل هذا مما أدى البروفيسور أيمبولو إلى أن يزعم أن آلهة يوربا قديما، تبلغ أربعمائة وواحد (٤٠١) وكان لكل آلهة شعر خاص^{١٢}. وكانت لبعض جامعات نيجيريا إسهامات كبيرة فى تعليم هذه الديانات وتطوير شعرها، يضاف إلى ذلك أن حكومة نيجيريا الفدرالية تؤيد شعراء هذه الديانات وتغدق عليهم أموالا طائلة، إحياءا لعادات البلاد وتقاليدها المفقوتة.

سوى أن الطابع العربي ما زال يتغلب على جميع الأشعار من حيث الألفاظ والتعابير.

الشعر النيجيري باعتبار تدوينه: ينقسم الشعر بهذا الاعتبار إلى قسمين: الشعر الشفاهي، والشعر المكتوب، وأما الشعر الشفاهي فهو الذي يقرضه الشعب في أيام سليقتهم حين لم يختلطوا بغيرهم من الأجانب، ولم يتصلوا بالشرق أو الغرب بله أن يتأثروا بهم أم بآدابهم، وكان الشعر في تلك الآونة متنوعا حسب اختلاف اللغات واللهجات أو اختلاف وضع البلاد، سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا. وأما الشعر المكتوب، فهو الذي يصوغه الشعراء المثقفون بإحدى اللغات الأجنبية سائرين على المنوال الذي وضعه أهل تلك اللغة ويسمى في نيجيريا ب(واكا). بمعنى الشعر والغناء في اللغة الهوساوية^{١٣}

ويبدو أن الشعر المكتوب بالحروف العربية وليد الإسلام ووليد الشعر العربي، فهو نوع من الشعر الذي لم يعرفه النيجيريون، إلا بعد اعتناقهم الإسلام وتعليمهم اللغة العربية، وكان وما زال استعمال الحروف العربية في كتابة اللغات النيجيرية يسمى في لغة الهوسا بـ(العجمي) أي كتابة اللغة الأعجمية بالحروف العربية. ولقد نبغ عدد من العلماء النيجيريين في استعمال الحروف العربية في نظم شعرهم المحلي،

منهم الشيخ محمد بن محمد الصباغ، والشيخ محمد بن المسنى وغيرهما من علماء القرن السابع عشر الميلادى، ولعل هذا الابتكار وجد اهتماما كبيرا فى القرن الثامن عشر الميلادى، فازداد عدد العلماء الذين أسهموا فيه كل إسهام، منهم الشيخ العالم محمد الكشناوى والشيخ محمد برننغوارى، والشيخ شئت بن عبد الرؤوف وغيرهم^{١٤}. وفى القرن التاسع عشر الميلادى كثر رواد هذا الفن بفضل جهود الجهاد الفودى حيث امتاز بالازدهار والاتسام بالظواهر الفنية المختلفة، وبالتأثير فى قلوب المسلمين وغير المسلمين، ومن أشهر العلماء الذين نظموا فى هذا النمط الشيخ عثمان بن فودى، وعبد الله بن فودى، ومحمد بلو، والشيخ الأمين الكافى، والشيخ عالم بن جنتا، والوزير غطاط، والوزير محمد البخارى وغيرهم.

وفى القرن العشرين تطور هذا الفن، وتضاعفت الانتاجات فيه، حيث توزعت الشعراء فى كل بلد من بلدان نيجيريا يوظفون أوزان الشعر العربى لقرض شعرهم المحلى، وينظمون فى ذلك قصائد جيدة فى أغراض متعددة، دينية، وغير دينية، ومن شعراء هذا القرن: الوزير عثمان نصرأوا، وأبوبكر مى كراتو، والشيخ محمد الناصر كبرا الكنوى، والشيخ عتيق الكشناوى، والشيخ محمد الثانى الكافنغى، والحاج مود سبيكن،

١- الزهد

هو أن يتخلى الإنسان عن شواغل الدنيا المادية، ويعكف على الروح الذى يتعهدا، محطما قيود الجسد، سواء بالصلاة أو الصوم أو التأمل الفكرى، أو الرياضة الروحية، أو بها جميعا، وقد لا يقنع الزاهد من الصلاح بخلاص روحه فحسب، بل يحاول أن يدل الآخرين على طريقة إليها يهتدون، وتكون دعوته الزهدية مواعظ أو قصائد^{١٥}. ولقد كثر الزهد شيوعا فى شعرنا النيجيرى، ومن رجاله: الشيخ عثمان بن فودى وشقيقه عبد الله بن فودى، والشيخ عالم بن جنتا، وأسماء بنت عثمان ونحوهم، فلنستمع إلى قول أسماء باللغة الفلانية:

فَاللّٰهُ تَعَالٰى جُومٌ قُدْرًا * تَاحَوْتُنَّ اللّٰهَ جَحَا سَقَرًا
أَطَانْدِ أَغُغْتُ أَبَاوْدُ حِدُو * كَلَّ جُعْدِ كَمَالِ أَتْنَدِ تَرَا
نُفَ اللّٰهُ حُمَجَرِ مَعَكُ لَبَا * خَيْرُوجِ دِمَعُكُ حِدُودِ تَرَا
مِى تَشْتِ غِكَجَا لَلّٰهُ وَلَا * دَغَ مَنْ جَهَلَا سِى مَنْ كَفَرَا^{١٦}

المعنى

ياالله أنت القادر، ومن يشرك بك سيصلى سقر
أعلم بأنك الواحد القادر على كل شئ الموصوف بالكمال

يأخى تقرب إليه، لتفوز فوزا عظيما، وتنال خيرا كثيرا وأنه لا يخيب
الظن بالله، إلا من جهل أو كفر.
ترى هذا الشعر يدعو الناس إلى تقوى الله تعالى، والانشغال به
وحده، والتخلق بالأخلاق الحميدة. وفي اللغة الهوساوية يقول الشيخ علي
الإمام :

جَمَعَايْنِ عَوَا مُسَاكِي شِرِي مُي تُوْبَا ** مُبِ اللّٰه اُبْنَعِجِي تُن بِي اَيْكُوْبَا
تَفِيَا لَا حِرَامِكِي كَوِيْم شَرِيُوْبَا ** كَقِ يَتْن اُبْنَعِجِي اِنْ بِي لُو رُوْبَا
دَدُوَا لَا خِرَا جَهَنَّم نِيْمِي دُوْبَا^{١٧}

معنى القصيدة:

أيها الإخوة علينا أن نحدّد الزاد ونتوب
ونطيع الله قبل أن يفاجئنا ملك الموت
وإنه لا بد من المسير إلى دار الآخرة سواء
أ كنا مستعدين للمسير أم لا.

ومن أعرض عن ربه فسوف يحيط به جهنم يوم الآخرة.

ومن طراز ذلك، قول الحاج إدريس لافياغي باللغة النفاوية:

جُوْكَو يُيْفُو زَانْدُونْدُو لَاوُوشِي يَنَّاغَبُونَا ** عَيْلِي غِيَابُو يَدَالِي دُوْدِيُو^{١٨}

المعنى:

نحن في هذه الدنيا كمن كان في السوق
وليشتري كل واحد بماله ما يريد
سنلتقي في يوم الجزاء

وفي هذه الأبيات شهادة على أن الشاعر يدعو إلى الفرار من
الدنيا وملذاتها. وشعر الزهد عادة يكون بإطالة الحديث عن ذم الدنيا
وملذاتها الفانية.

٢- الوعظ والإرشاد

يكثر علماؤنا من محاربة الفساد والظلم، وينقدون المجتمع نقدا
إيجابيا حيناً وسلبيا حيناً آخر إما بالنثر أو بالشعر، ومن شعراء الوعظ
والإرشاد، الشيخ عالم بن جنتا الذي يقول في قصيدته، ومطلعها:

إند جو ممّ قد رميم * أنبيج مُمْتِم

حاسمكي جو مُقِم * يا عِظاً دُا نُقْلِم

شِينَا مِنْ دَرَسُوجِي

معنى الأبيات:

أبدأ باسم ربّي

أمدح النبي

الهاشمي صاحب الدرجة

المحسوب عند الله

الذي أفرحنى في قت الحزان^{٢٠}

ومن ذلك قصيدة أسماء بنت عثمان بن فودي التي تقول باللغة

الهوساوية:

وَنَدَّ يَكْنَشَى الْكَوْلِ بَاىَ ذَنْبًا ** دَدَ مَيْرَيْنَ مُومِنَى سَى شَتُوبًا

يَاىِ سَابُو إِنَا كَمَاتَى. كَدُوبًا ** مَيْفَ بُو تَدَا طَا شَبْشَا يُوْعَذَابَا

شَى كُبُوتَا فَ تَبَّ حَقِيقَا^{٢١}

معنى الأبيات:

لقد ظلم من نقض العهد،

وكذلك من أهان مؤمنا فعليه أن يبادر إلى التوبة

لأنه أثم إثما كبيرا

وكذلك من باع حُرًا فسوف يعاقب عقابا شديدا

لا يقل شاعر الوعظ والإرشاد في المجتمع النيجيرى من العالم أو

الواعظ فكلاهما يحاربان الظلم والفساد، وينيران الطريق إلى العدل

والإحسان. ومن مشاهير شعراء الوعظ والإرشاد، الشيخ بدماصى

الإلورى القائل باللغة اليورباوية:

مُسْلِمٌ عُكْرِيٌّ غَيْرِيٍّ مُسْلِمَاتٍ ** عَفَيْتِي سُدُومِي عَسَى فِيهِ سُرَامِي
 عَبَاتُوشٍ وَلُسْكُو تَوَبَّوْاضٍ ** كَمْ هُنَّ تَوَشَّى تَضَ كَأْتَكُوا
 عَنِي عُوْجَابِمِي تُجْكُوْلَكِي عَنِي ** عَيْبِ نِيوْدَا لَهِي بَعَاكُوا
 يِيوَاتَا يُسِيْجُوْيسِي بُولِيْرِي ** عِيْوُوعُ تَاهُوْبَ كَاتُوْكُوا
 عَفِكُو سِيْعُجُوَا كَفِيْيِ سَبَبٍ ** عَنِي عُجُوْرِيْنَبَ عُوْسِيْبُ بُكُوا
 عُسَى سَبِيْ ضَ كَلِي رَهُو تَاكَآ ** نِيْ عُجُوْ نِكُو وَنَبَ لَبِي كُوَا ٢٢

والمعنى:

أيها المسلمون رجالا ونساء

استمعوا إلي، وعوا كلامي

إن الله الذي خلقنا هو الذي خلق الموت،

فلنعلم قبل الموت ما يجب علينا عمله

وكل مخلوق يعيش فوق الثرى

فإنه صائر ترابا بعد الممات

يميتنا الله ثم يحيينا ثم يحاسبنا

على أى شئ فعلناه قبل الممات

جعل الموت في الأجل لا في السبب

فمن جاء أجله سمعنا بموته

جعل السبب كى تُرجع إليه الحدث

فالموت (كامن) فى الأجل، يموت المرء إذا جاء أجله^{٢٣}

٣- المدح:

هو فن من فنون الشعر الغنائى، يعبر عن عواطف الإعجاب والشكران، وإظهار التقدير والاحترام، بسرّد مأتى الممدوح، وعرض أبحاده، فيتتقم الشاعر فى هذا الصنيع عمل المورخ، فينبى من الممدوح جنياى سكت عنها التاريخ^{٢٤}

وفى نيحيريا يعتبر المدح أكثر موضوعات شعر (واقا)، حيث إن أصحاب الطرق الصوفية يقيمون الحفلات والمناسبات الإسلامية التى تتطلب المدح النبوى الشريف، ومدح الصحابة الكرام، وأولياء الله تعالى، ومن ذلك مدح الشيخ محمد الناصر كبرا للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال فى اللغة المؤساوية:

طه خير الورى سيدى أحمدا ** شوغبى شوغباً بنغ تمكر كبا

طه كينى عوا طه كينى عبا ** نى مرا ينكنى باعوا باعبا

طه ئن آدم غبن آدم ** طه نى شوغباً ئن غبن ئن غبا^{٢٥}

والمعنى:

يا طه خير الورى سيدى أحمد

ياسيد السادات، لم أر مثلك

يا طه أنت الأم وأنت الأب

أنا يتيمك وأصغر عبيدك

يا طه كنت سيذا قبل وجود آدم

بل كنت سيذا منذ زمن قديم

ومنه قول الشيخ إبراهيم أبوبكر الصوفي الإلورى فى المدح النبوى بلغة

اليوروبا:

عُوْثُوَانِي فَاخِرَ لَايِي فُنْمِ ** إِيْفِي أَلْنَبِي تُوْأَبْنِمِ

بِإِسْمِ إِلْهِي مُوَأَفِي بَرِي ** لُوْ أَرَكُوْ عُوْ بَاتُوْ أَسَى عِدَامِ

تُمْ صَلَاةُ سَلَامُ ** فُنْ عِنْتِي وَتُوَارِ رَاي دَامِ

أَلْنَبِي رَاي أَلْنَبِي مِ ** عُوْ أَجْسِي غُوَاغُوْ عِلَامِ

فَاخِرِمِ رَاي تَمُوَانَسِي ** فُنْ غُوَاغُوْ عِنْتُوْ مَامِ

بِلِ إِيْفِي أَلْنَبِي مِ عُوْ أَهْنَا لَرُوَاغُوْ كَنِمِ

أَلْنَبِي تُوْأَفِي عِقِنْ رُوْرَا ** نَتُوَارِ تَيِي أَتِي تَمِ

وَنَلِي كُرُوْأَنِي إِلْ مَكَّةَ ** أَتِي عُوْبُوْلُوْ بُوعِمِ

وَنَبْلُبُ وَنَحْلُوْأُ كُوْأُ ** يَيِي وَنَفْنَسِي أُوْتَمِ

عُوَارِسِ رِسِ تَكُوْأَنِي ** نُوْنَفْنَتُوْ سَأَلْنَبِي

المعنى :

يكفيني فخرا في الدنيا والآخرة

حيي لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

بدأت القصيدة باسم الله تعالى

الذي هو ربي وخالقي

ثم الصلاة والسلام بمن خلقت لأجله

النبي هو نبي أنا ونيك أنت

هو الرسول إلى العالمين

هذا ما أفتخر به

أمام كل معارف

أنا مع حب النبي

والحب هو غاية قصدي

النبي الذي لقي الأذى

لأجل أمرى وأمرك أنت

طردوه من مكة المكرمة

وطردوا معه عددا من الخلائق

هجووه ورموه بالطوب

وبعضهم أخذوا يستهزأون به

وليس المدح مقصورا على شخصية الرسول الكريم بل يمتد إلى أصحابه، وشيوخ الطرق الصوفية أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد البدوي، والشيخ أحمد التجاني وغيرهم. أنظر إلى الشيخ أبي بكر عتيق الكشناوي يقول باللغة الهوساوية في مدح الشيخ أحمد التجاني:

أَلَا يَا صَاحِبَ الْفَاسِ ** أَمَى قَدَمِي عَلَى الرَّأْسِ

أَلَا يَا شَيْخَ نَبْرَاسِ ** كَدُو بُوذُو ثِيرَ قَاسِ

تَحْسَنُكَ دَوْدُ نُورَانِي

صَلَاةُ الْفُتْحِ أَتْبَاكَ ** دَ جَوْهَرَةُ الْكَمَالِ دُكََا

كَذَا أَسْمَاءُ مَوْلَاكَ ** رَسُولُ اللَّهِ يَا بَاكََا

إِنَّا يَكْمَرُكَ تَجَانِي^{٢٧}

والمعنى:

ألا يا صاحب الفاس

يا من قدمه على رؤوس الأولياء

ألا يا شيخ أنت النبراس

أنظر إلى القلب القاسي

حتى يضيئ بنور الله

أعطيت صلاة الفاتح

كما أعطيت جوهرة الكمال

وكذلك أعطاك رسول الله

أسماء الله كلها

أين مثلك يا تجاني؟

نرى أن اللغة العربية أثرت كثيرا في القصيدة الأولى، والثانية،

والثالثة حيث يقتبس أصحابها عددا من مفردات العربية وألفاظها، وقلما

تقف على نوع من أنواع هذه القصائد بدون أن تجد الألفاظ العربية

مشحونة فيها.

٤- الوصف

الوصف، من أوسع الأبواب الأدبية نطاقا، وأكثرها شمولا حتى

نستطيع القول: بأن معظم شعرائنا النيجيريين أسهموا كثيرا في وصف ما

رأوا، وما شاهدوا أو أحسوا به، حتى تركوا في مكتباتنا كنوزا ثمينة في

الوصف بالشعر العربي أو المحلى، ومن طراز ذلك قول الشاعر صالح

كوتنغورا باللغة الهوساوية:

مُنافِكْ كَنَسَا سَكِي قسا** بي ولولا دَوْن مُنافِكْشِي

مُنَافِكَ هَرَدَ بِي ثَرَا ** شِدَى شَقْلًا مَنَافِثِي
بللى ظكانن هقو بتانى ** نَن يَفِ فَلَائِمِمَنِي
ثِكِنُ عِنْدَ سُنْ ثِكِنُ دَنَغُ ** إِنْ دَى حَلِيسَ نَشِيطُنِي^{٢٨}

معنى الأبيات:

يقول الشاعر في هذه الأبيات، إن المنافق يتكلف الورع، ويمشى بالهويناء، وأنه لا يطمئن إلى مجلس من مجالس الناس وأنديتهم، وكلما جالس عصابة من الناس، يحدق بعينه، ويصغى بأذنيه ليرى أو يسمع عيباً، فيشيعه بين الناس، وأنه لا ترتاح نفسه ما لم يشعل نار العدواة، وخاصة بين ذوى القربى، فيجد سبيلاً لقطع الأخوة بينهم^{٢٩}

٥- الشعر التعليمي

عرف شاذلى فرهود الشعر التعليمي، بأنه "الشعر الذى يستند إلى الأفكار العلمية، ولكن لا يخلو من متعة فنية"^{٣٠}، إذ هدفه الرئيسى هو إفادة القارئ ألواناً من المعرفة والعلم والقيم الدينية والخلقية، أما أداء المتعة الفنية فمهمة ثانوية له^{٣١}

إن للشعر النيجيرى المكتوب بالحروف العربية دوراً كبيراً فى تناول علوم التوحيد، والفقه، والتصوف، والنحو، والصرف، ونحوها من المسائل العلمية ومن فرسان هذا الصدد الشيخ محمد الناصر كبرا الذى

حول المنظومة القرطبية إلى لغة الهوسا، ونظمها بالهوسا شعرا، وقال في مطلعها:

دَسُونُكَ جَلَّ مُحَمَّدُ طَنْ ** مُحَمَّدُ زَيْطَارُ وَاَقَا كَطَنْ
إِنَّاينَ صَلَاتِي إِنَّاينَ سَلَامٍ ** غَاَحْمَدُ خَيْرِ الْوَرَى سَرْمَدَنْ
إِنَّاغَيْدَ ءَالِ إِنَّاغَيْدَ صَحْبٍ ** دَمَاسُ بِيَّاسُ حَرُّ أَبَدَنْ
نُفِينَا إِمِيدَبُشْنُ قُرْطُيبِيَّةَ ** دَحُوسَ كَدَنْ جَلَّ يَا عَاغَزَنْ
فَعُولَنْ فَعُولَنْ فَعُولَنْ فَعُولَنْ ** مَأُونَنْ كَمَالَهُ يَدُونْدَنْ
عِبَادَ دَجْهَلُ ذِمَاكَنْ وَتَائِي ** بَتَا سَامُ حَنِيرُ شِعَاكُو كَطَنْ
فَرَضًا دَ سُنَّةَ نَكَاسُوا كَغَانِي ** كُبْنَبَتْ ظَابَ دَطْكُوَادَبَنْ^{٣٢}

المبحث الخامس: تأثير اللغة العربية في الشعر النيجيري

إن اللغة العربية أثرت كثيرا في الآداب النيجيرية عامة، وفي الشعر النيجيري المكتوب بالحروف العربية خاصة، وقد يظهر هذا التأثير جليا في الأمور الآتية:

١- التأثير من حيث الألفاظ والمعاني

بدأ النيجيريون يتأثرون بالألفاظ العربية منذ بداية التجارة بينهم وبين العرب، ولعل من مظاهر تأثرهم بالألفاظ أو المعاني العربية كثرة

اقتباسهم من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، استمع إلى معاذ حطيحا يقول:

كسنى دا أنبد متم ياي ** كنسازى هو باب رون وى
إن خير خير ذى ذى غنى ** إنكو شيرى شيرى زى غنى^{٣٣}

المعنى:

واعلم أن المرء ينال جزاء عمله
ولا تزر وازرة وزر أخرى
ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره^{٣٤}

التأثير في البحور الشعرية

استعمل النيجيريون بحور الشعر العربى فى قرض أشعارهم المحلية، وكان بحر الطويل، والوافر، والبسيط، والكامل أكثر تداولاً واستعمالاً فى أشعارهم من بحرى الرمل والمتقارب^{٣٥}.

وكان نظام الشعر العربى المثلث والخمس والسبع نظاماً منتشراً جداً بينهم، وكان شعراؤهم يلتزمون بالقافية الواحدة فى القصيدة^{٣٦}، ولعل هذه الظاهرة مما أدخلت عدد كبيراً من الكلمات العربية إلى الشعر النيجيرى المحلى لأن إيجاد القوافى أحياناً قد يضيق على الشاعر بلغته المحلية

الأصيلة، فيستعين بالعربية سدا للفراغ حيناً، وإظهاراً لتضلعه في العربية تارة أخرى^{٣٧}، كما نلمس في أشعار الشيخ أبي بكر عتيق الكشناوى، والشيخ محمد الناصر كبرا ونحوهما.

ولإثبات دعوى استعمال محور الشعر العربي وقوافيها في قرض الشعر النيجري المحلى، ننظر إلى تقطيعهم لقصيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى التى تقول:

مُعُودِي كَرِيمٍ جَلَّ سَرَكِي مُسَمِّ هَذَا ** دَيِّ يَمِّ يَا أَيُّكُو فَيِّبِي مُحَمَّداً
دَيْدَكَ يَأْفِشِيْمُ دُبْبَنَ بَتَادُكَ ** دِيَا بَامُ أَنْوَرِي نَسْنَنَ مُحَمَّداً

التقطيع:

مغودى	كريم	جل	لسركى	مسمهدا
فعولن	مفاعلن	فعولن	فعولن	مفاعلن
دي ي	ميا	أيكو	فيبي	محمد
فعولن	مفاعيلن	فعولن	فعولن	مفاعلن
ديدذ	كيافشى	مدبين	بتادكا	
فعول	مفاعلن	فعولن	مفاعلن	
ديابا	مأنورى	نسنن	محمددا	
فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعلن	

كان بحر الطويل من أشهر البحور تداولاً بين الشعراء النيجريين، وقد جاءت أشعار معظمهم من الطويل، وتدخل فيه الزحافات والعلل الجائزة وغير الجائزة، كما هي معروفة في الشعر العربي. ومن أمثال ذلك قصيدة عقيل علي التي جاءت باللغة الهوساوية على بحر البسيط، وهي:

بِسْمِ الْإِلَهِ دَشِي نَكِي فَا رَاوَا * كُو مَي نَكِي نِيَرِ نَفْن شِرِيَاوَا
نَاغِيدَا مَنْدُو ءَالُ سُوْدَا أَبَكِي * مَاتَن دِيَا يَائِي نَكِي تَارَاوَا

التقطيع:

بسملاً	هدشي	نكي فا	راوا
مستفعلن	فعلن	متفعل	فعلن
كومي نكي	نيير	نفن شر	ياوا
مسفعلن	فعلن	متفعل	فعلن
ناغيد من	ذوعا	لسودا	أبكي
مستفعلن	فعلن	متفعل	فعلن
ماتن ديا	يأي	نكي تا	راوا
مستفعلن	فعلن	متفعل	فعلن

نرى أن العروض في البيتين جاءت مرة مخبونة ومرة مقطوعة، أما الضرب فقد جاء مخبونا فيهما، والتفعيلة الثالثة من الصدر والعجز جاءت مخبونة ومقطوعة معا: متفعل^{٣٨}

٣- التأثير بنظام حساب الجمل في الشعر

التاريخ الشعري، عبارة عن الأشعار التي يتناول فيها الشاعر الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت في الأمة على سبيل الحساب والرمز^{٣٩}، وبعبارة أخرى، هو حساب القيمة العددية بالأحرف الأبجدية، وقد اقتبس العرب هذه الطريقة من قيمة الحروف من السريانية، ثم زادوا فيها ستة غير مذكورة عند السريان وهي ثخذ ضظغ، وقسموا الأبجدية إلى ثلاثة:

- أ- حروف الآحاد وهي : أبجد هوز حطى (من الرقم ١ - ١٠)
 - ب- حروف العشرات وهي : كلمن سغفص (من الرقم ٢٠ - ٩٠)
 - ج- حروف المئات وهي : قرشت ثخذ ضظغ (من الرقم ١٠٠ - ١٠٠٠)
- أما استعماله في الشعر، فقد قيل إن علماء القرن الثاني عشر الهجري هم الذين بدأوا استعماله، وذهب الأمير حيدر الشهابي إلى أن عبد الرحمن البهلول النحلاوي هو أول من استعمله في الشعر والنثر، ولكن الأب "لويس شيخو" يقول إن هذا النوع من الشعر كان معروفا

منذ أوائل العهود الإسلامية^٤، وأما الذى وصل إلينا من هذا القبيل هو قول ابن الشيب في "الإمام المستنجد بالله" هو الثانى والثلاثون فى سلسلة الخلفاء العباسيين، وأن هذا العدد متضمن فى جمل "لب" التحليل يكون كالآتى: ب = تدل على اثنين، ل = ثلاثين، فصارت كلمة "لب" تشير إلى "الثانى والثلاثين" والمستنجد بالله إذن هو الثانى والثلاثون فى سلسلة الخلفاء العباسيين، وهذا كله نأخذه فى البيت الآتى:

أصبحت لب بنى العباس كلهم ** وإن عددت بحروف الجمل الخلفاء
وفى نيجيريا، تأثر الشعراء بهذه الظاهرة، واستخدموها فى كثير من إنتاجهم الشعرية بالعربية، وباللغات المحلية، فلا تكاد تجد قصيدة قيلت فى القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين إلا أن تختم بالتاريخ الذى يدل على زمن نظمها بالتحديد وذلك مثل قول الشيخ عبد الله بن فودى باللغة الفلانية عن الإمارة:

ججئغ ن ن دون جغ فيج لام ** هتاند حفش هدن لام
والمعنى: "امسك الإمارة بيدك اليسرى، حتى عام حفش وعندئذ اتركها" وعام حفش = ١٣٨٨هـ^٥. وتقول السيدة أسماء بنت الشيخ

عثمان بن فودى فى هذا الصدد:
ود عدلا كى لام فاختاند ** وجيز كمي تت فغ دلو هند

بمعنى كن عادلا في الملك حتى عام "وجيز" = ١٠٠٠، وكمى تت = ٣٠٠،
وفح = ٨٨، أى ١٣٨٨هـ^{٤٢}

الخاتمة

خلال هذه النظرة السريعة في آثار اللغة العربية في الشعر النيجيري المكتوب بالحروف العربية، نستطيع القول بأن أواصر التشابه بين الشعر النيجيري والشعر العربي قوية جدا، وأن الشعراء الذين يتعاطون هذا النوع من الشعر في نيجيريا هم أقرب إلى البيئة العربية منه إلى بيئتهم المحلية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى انتصار شعرائنا النيجيريين لمنهج الأدب الإسلامي الذي يدعو إلى انصهار كل البيئات المسلمة في بوتقة بيئته النموذجية، وبهذا تقوم هذه المقالة المتواضعة بمحاولة المرأة الشفافة التي تعكس جانبا من جوانب حياة الأدب العربي النيجيري. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا.

هوامش البحث

١- راجع عبد الحميد شعيب أغاكا (الدكتور): مشاكل اللغة العربية

لدى الطالب النيجيري، ط ١ مطبعة *Triump*، كنو، عام ١٩٨٣م،

(ص: ١٢).

- ٢- شيخو أحمد سعيد غلادنت (البروفيسور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط ٣ المكتبة الأفريقية، القاهرة، ١٩٩٣م، (ص: ٢٧).
- ٣- أحمد شلي (الدكتور): موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، ط ٣ عام ١٩٧٨م، (ص: ٥٧٦).
- ٤- سركي إبراهيم (الدكتور): مقالة حول الأدب العربي في نيجيريا، عام ١٩٩٣م، (ص: ٢).
- ٥- مصطفى زغلول السنوسي: أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا، ط ١ شركة تكنوبرس الحديثة بيروت (ص: ١٧).
- ٦- شيخو أحمد سعيد غلادنت (البروفيسور): المرجع السابق، (ص: ٣٩).
- ٧- عبد الحميد شعيب أغاكا: المرجع السابق، (ص: ٦٥).
- ٨- شيخو أحمد سعيد غلادنت المرجع السابق، (ص: ٣٣).
- ٩- راجع السلطان محمد بلو: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبع بلندن، عام طبع وتاريخه غير مذكورين، (ص: ١٩).
- ١٠- عبد الحميد شعيب أغاكا: المرجع السابق، (ص: ٣٠).

- ١١- يعقوب الحاج عبد الله (الأستاذ): ملامح الأدب الإسلامي في شعر الهوسا المدون، رسالة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٨م، جامعة إلورن، (ص: ٣٦).
- ١٢- عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم: آثار اللغة العربية في شعر يوربا، مجلة اللسان، تصدر عن جمعية مدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنيجيريا (نتسیدی) العدد الثالث، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٥م، (ص: ١٦٥).
- ١٣- مشهود محمود محمد جمبا: واكا إلورن، فن أدبي إسلامي شعبي، طبع بمطبعة حسن ألي، إلورن، عام ١٩٩٧، (ص: ٧)
- ١٤- يعقوب الحاج عبد الله: المرجع السابق، (ص: ٣٩).
- ١٥- محمد الصادق عفيفي (الدكتور) وغيره: الأدب المغربي، المطبعة وتاريخ الطبع غير معروفين، (ص: ١٣٩).
- ١٦- محمد ناصر أحمد صكتو: آثار اللغة العربية في شعر قبيلتي الهوسا والفلان، مجلة الأدب الإسلامي في نيجيريا: ماضيه وحاضره. مطبع حسن ألي إلورن، عام ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، (ص: ٢٠٦).
- ١٧- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

١٨- أخذت هذا البيت وغيره من الأستاذ يعقوب الحاج عبد الله، يوم الأربعاء الموافق ١٣/٥/٢٠٠٩ م، بمكتبته، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، إلورن.

١٩- مشهود محمود محمد جمبا: المرجع السابق (ص: ١٠).

٢٠- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٢١- محمد ناصر أحمد صكتو: المرجع السابق، (ص: ٢١٠).

٢٢- مشهود محمود محمد جمبا: المرجع السابق، (ص: ١٩-٢٠).

٢٣- المرجع نفسه، (ص: ٢٠).

٢٤- محمد الصادق عفيفي (الدكتور) وغيره: المرجع السابق، (ص: ١٤١).

٢٥- الشيخ محمد الناصر كبرا: ديوان الحقائق الإسلامية في لسان اقليم

نمازيا الهوساوية، نشره الحاج إبراهيم سابوطن بت القادري

الناصرى، بالخط المغربى، (ص: ٣٨).

٢٦- الحاج إبراهيم أبوبكر أغدى الصوفى الألورى: القصائد فى مدح

السيد المحمود، طبعت بالحاسوب، بمدينة الفيضة التجانية، أبايووا،

إلورن، عام ١٤١٤هـ، (ص: ١).

مجلة دراسات عربية، العدد الخامس من السلسلة الجديدة، أكتوبر ٢٠١٠م، ص ١١٢

- ٢٧- الشيخ أبوبكر عتيق ابن خضر الكشناوي: عبية الفقراء في مدح خاتم الأولياء، طبع على نفقة محمد عبد الله عكي ن، بالخط المغربي، (ص: ٢).
- ٢٨- محمد ناصر أحمد صكتو: المرجع السابق، (ص: ٢١١-٢١٢).
- ٢٩- المرجع نفسه، (ص: ٢١٢).
- ٣٠- شاذلى فرهون وآخرون (١٩٨١): البلاغة والنقد للصف الثالث الثانوى، وزارة التربية، المملكة العربية السعودية، (ص: ٩١).
- ٣١- أبوبكر محمد عيسى: الشعر التعليمى لدى الوزير محمد بدا من خلال أرجوزته غرائب القرآن، مجلة كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو، السلسلة الثالثة الرقم الثالث، مايو ٢٠٠٧م (ص: ٣٢٥).
- ٣٢- محمد الناصر كبرا الكنوى: إضاءة البلاد بأنوار الميعاد، طبع بالخط المغربي، لدى الحاج شريف بلا، كنو، (ص: ٢١٥).
- ٣٣- محمد ناصر أحمد صكتو: المرجع السابق، (ص: ٢٠٨).
- ٣٤- المرجع نفسه، والصفحة نفسها
- ٣٥- عبد الله آدم وآخرون: آثار اللغة العربية فى الأدب الفلانى، مجلة اللسان، تصدر عن جمعية مدرسى اللغة العربية فى كليات التربية

والمعاهد المماثلة بنيجيريا (نتسیدی)، العدد الثالث، عام

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص: ٤٥).

٣٦- المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٣٧- المرجع نفسه، والصفحة نفسها

٣٨- يعقوب الحاج عبد الله، المرجع نفسه، (ص: ١٩٧).

٣٩- محمد الأمين عمر (الدكتور): الشيخ أبوبكر عتيق وديوانه هدية

الأحباب والخلان، طبع بمطابع الزهراء للأعلام العربي،

(ص: ٢٧٣).

٤٠- المرجع نفسه، (ص: ٢٨٤).

٤١- عبد الله آدم وآخرون: المرجع السابق، (ص: ٤٧).

٤٢- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.